أدباء شباب وأدباء شيوخ

أثار صديقنا ابراهيم المصري مسألة شكلية طريفة في تقسيمه الادباء الى شباب وشيوخ ، وعد نفسه من الاولين ومعه أبو شادي وناجي وعلي طه وخيري سعيد وجودت والوكيل وقطب والحكيم ولاشين والصاوي والصيرفي وموسى ورزق وبقية « الوراور » . أما الشيوخ في نظره فهم العقاد وطه وهيكل والمازني وعوض وعبد الرازق وبقية « الخناشير » فاذا سألنا صديقنا المصري معنى هذا التقسيم غير المنطبق على الواقع في تعريف الشبيبة التي تدل على ربيع العمر ، بعكس الشيب الذين يمثلون خريفه أو شتاءه وألزمناه البينة على صحة دعواه أجاب :—

ليس في أدباء الشيوخ واحد لم تطوحه طوائح السنين الى أبعد من الاربعين ، ويقسم الايمان المغلظة على ان ما من واحد من أدباء الشباب بلغ العقد الثالث بعد ، وانه هو لم يتجاوز الثلاثين من عمره الطيب الا من عشر سنوات خلت أو تزيد قليلا ، وان ليس لابي شادي سوى (ربع قرن) في خدمة الحكومة وحدها ! واذا قلنا له ان سن الاربعين حتى الخمسين تعد في ربيع العمر ، وان العبرة ليست باعداد السنين بل بالنشاط الذهني ومسايرة التطور

الفكري والاجتماعي قال : ألم يقل شعراؤكم «وقد نطيت حدود الاربعين» اشارة الى قول الشاعر

وماذا يبتغي الشعراء مني وقد جاوزت حد الاربعين

وإذا سألناه عن الخيوط البيض المتكتلة في فروة رأسه قال : ليس هذا نذير الخريف ولا هو بالشيب كما تتوهمون ، انما الرماد هو اللون الطبيعي لشعري وان ذلك من علامات النبوغ بل العبقرية بعينها لو تعلمون ! !

مساكين أدباء الشيوخ لانه ليس بينهم أشيب كصديقنا المصري وليس فيهم واحد من عبقر ولا من جاس هاتيك الاودية والبطاح وتاقح بلقاح الجن فصار عبقريا لا يفري فرية عباقرة الشباب ، ولكن ماحكم صاحبنا في الاساتذة الجميل ومبارك

واباظه وغيرهم من الذين لم ترد اسماؤهم لا في قائمة أدباء الشباب ولا في قائمة أدباء الشيوخ ؟

أعلنت في مقالي السابق اكتفائي بما كتبته عن الشباب وعزمي على الانتقال الى دراسة أدباء الشيوخ والآن وفي نيتي الكلام عن انطون الجميل بك كاتب مقدمة كتاب (ماقل ودل) وعن فكري أباظه كاتب مقدمة كتاب (رحلة صيف) وعن سلامه موسى كاتب مقدمة كتاب (بين الجزر والمد) فأين أضع هؤلاء السادة أفي (المطهر) بين جهنم الشباب وجنة الشيوخ أو أتركهم كمطرقة الناقوس تميل فتنقر مرة هذه الناحية ومرة تلك ؟

والله لا أدري !

يجازي الله ابراهيم المصري الذي ما ابتدع بكردينااليته الحمراء مشكلة الشباب والشيوخ الا ليعلن للملأ بان الاولين مغمورون وان الاخرين الذين طارت شهرتهم في كل الاصقاع والاقطار غامرون ظالمون.

سلامه موسى — اللازمة «مصر»

لا يضير سلامه موسى وهو صحفي قدير ان يقصيه البعض عن حلبة الادب وجلبة الادباء لانه فطر على ان يكون قناصاً (للفكرة) التي توافق مزاجه الناري الذي يشع صوب ناحية

واحدة ، ولا بأس عليه اذا أجلسه اخوانه الى جانب الأطراف بعيداً عن جهنم الشباب وجنة الشيوخ او بالعكس خوفاً عليه من جذب الشيوخ له ليكون في صفهم ، وتمسك الشباب به ليبقى معهم ، ولا تنقص قيمته ككاتب مفكر يتعصب لفكرة خاصة له وحده تنفعها وعلى سواه ضرها ، انما ينقص ميداننا الأدبي ناقد جريء فيه من الحرارة والاخلاص بقدر ما يعتلج في صدر سلامه موسى منهما للحياة الاجتماعية وبقدر ما عنده من الوعي الملح في تحليل الفكرة وتقطيرها واستبعاد الزائف الذي لابد يرسب أو يتجمع حولها ، بغية هبة المستقطر النقي منها لهواته ، وترك النافلة والحثالة لأهلها وقد يكون هو منهم .

نعم نحن في حاجة الى أديب ناقد جريء يشيم الومضة البارقة ، ويلمح الفكرة الوضاءة في أدب الاديب كما يلمحها سلامة في رجل الاصلاح الاجتماعي فيدق لها طبول الفرح وينشد أطيب الأناشيد وقد يكون في دق الطبول ضجيج يؤذي الاسماع ، وفي الانشاد نشاز يغيظ النفوس ، الا أن الفرحة في ذاتها وفي مظاهرها هي وثبة الروح ويقظة الوعي الانساني والادراك العقلي ، فكيف بها اذا كانت فرحة منسجمة لومضة أو شعاع من الأدب الاصيل الذي يمثل الحياة خالصة من زيف المزيفين وتمويه المموهين ؟ كيف بها اذا كانت صادرة عن اديب موهوب يرى الحياة والحب والموت

والخلود في أناشيد الادب وأنغام الادباء ؟

نعم سلامه موسى ليس بأديب إنما هو ذواقة للادب طماح الى معرفة الحياة ، إلا ان الاصلاح الاجتماعي في أضيق مسالكه يصرفه عن الاغراض الكبرى في الحياة من نواحيها الانسانية والعالمية والادبية ويجعله يخطف الفكرة الاجتماعية والقومية خطفاً وينشلها نشلا فيضمها ضمن اطار ضيق مزركش مزخرف ، انظر كيف يفعل ذلك

كتب مقدمة لكتاب « بين الجزر والمد » للآنسة مي والانسة « مي » اديبة تعيش بعواطفها النسوية وباعصابها مرهفة الاحساس ، وذهنها اللامع في وسط لم يألف زعامة المرأة بعد ولا قيادتها للافكار . انها وإن كانت في طليعة رافعات علم النهضة الفكرية ، الا انها وجلة تتغلب نسويتها العذبة الناعمة على خشونة الروح الاصلاحي فلذلك تراها وقفت بعد أن مشت كالمنبت لاحصنا منع ولا أرضا قطع ، وأخذت تصيح صيحات متقطعة تارة في نصرة بنات جنسها وطوراً في الاصلاح الاجتماعي تهيب بالشباب حيناً وتنطوي على نفسها كالصوفي والناسك احيانا وكتاب « بين الجزر والمد » يمثل شخصية الآنسة « مي » وطابعها أصدق تمثيل . فمن هذا الكتاب لمح سلامه موسى اللمحة التي توافق مزاجه الاصلاحي فاقتطف فقرة اصلاحية بنى

عليها دعوة اصلاحية حارة صادقة لا عنت فيها ولا تكلف ولا غلو ولا اسراف . ما قرأت نظيرها لكاتب من كتاب مقدمات الكتب عند الشباب ولا سواهم وقد ضرب باصول كتابة المقدمات وقيودها والتقاليد المتعارفة عند الكتاب عرض الحائط

قالت الآنسة مي « فالمسؤولية صارمة تثقف الذات القومية والذات الفردية . غير ملاينة ولا مهادنة وهي من اكبر البواعث على نفض دثار الخمول وتكوين صفات النبل والكرامة »

وقال سلامه « والدفاع عن المسؤولية هو دفاع عن الحرية وليست توجد حرية إلا وفيها مسؤولية، كما ليست توجد مسؤولية بدون حرية . ولو كان شبابنا يفعل فعل « مي » وبدلا من ان يطلب الحرية الدستورية والحرية النسائية أو غيرها يطلب المسؤولية الدستورية او المسؤولية النسائية ، لما وجد الجامدون منفذاً الى حصن المجددين . فالحرية في نظر من يفهمونها ويدافعون عنها هي المسؤولية وليس يخشاها الا من يخشى المسؤولية ، الا اذا ألف الانسان القيد والسياج ارتاح اليهما فكانا له سنداً يأمن به الغوائل . أما الانطلاق في فسحة الحرية فلا يطيقه الأقوياء ، ورجال الصحافة عندنا يعرفون قيمة المسؤولية التي تستتبعها الحرية فقد كانوا أيام الأحكام العرفية والرقيب

يقرأ صحفهم يستكينون الى هـذا القيد ولا يحسبون حسابا للمسؤولية ، فلما رفعت عن الصحف الرقابة وعادت اليهم حريتهم شعروا جميعاً بالمسؤولية فشدت من أعصابهم ونبهت من أذهانهم » اه

أرأيت كيف يوازن كاتب — اتفقنا على انه ليس من أدباء الشيوخ ولا الشباب — بين الدفاع عن المسئولية والدفاع عن الحرية؟ وكيف يهيب بنا الى الاضطلاع بالمسؤوليات كافة لأنها تشد من أعصابنا وتنبه من أذهاننا ؟ فاين هذه الكلمات الصادقات الصادرات من كاتب اجتماعي في أديبة فطرتها الطبيعة على ان تكون عابدة معبودة للحياة والجمال والفن؟ أين هذه الكلمات الحارة الصادرة عن رجل كونته الظروف لان يكون اصلاحيا « محليا » جافا مغاضباً من اولئك الكتاب الذين يطوفون اجواء الحياة فتضيق بخيالاتهم

ويجولون أرجاء الأمصار والبحار فلا تتسع لهم لانهم يتعشقون الانطلاق الحر الى حيث لا انا أدري ولاهم يدرون ما هو الانطلاق الحر !! وعندي ان النفوس الكبيرة التي لا تقنع من الوجود الانساني الا بالحرية المطلقة ، تكون في الشباب الاحرار كما تكون في الشيب الاحرار على السواء ، وتكون ايضاً صاخبة ، متمردة ، ثائرة عند الشيب كما تكون صاخبة متمردة ثائرة عند الشباب لانها لا تستعذب الحياة الا في أجواء الحرية

يمكنني على كل حال ان اقرر ، أن الاجواء التي يحلق بعض الشباب فيها والملكوت الخيالي الذي يطوفونه ليست قريبة من الاجواء الشرقية ! !

نعود الى الآنسة (مي) فنقول أن في مصر كتاباً كثيرين ، شيباً وشباناً يشبهون الآنسة (مي) في تأرجحها بين الاقدام والاحجام ، وانكماشها حينا وظهورها حيناً آخر يشبهونها في اتجاهها تارة نحو الشرق وطوراً نحو الجنوب او الشمال ، يشبهونها في صرخاتها المتقطعة التي ليست بصرخات أديب تتملكه المشاعر فتجعله انساناً يحس بالجمال ويدعو الناس الى جنة هذا الجمال وخميلته ولا بصرخة خطيب مصلح ينبه الناس الى أوجاعهم ويرشدهم الى جادة الحياة

بين كتاب مصر وكاتباتها شيبهم وشبابهم ، مئات أمثال

الآنسة (مي) يسيرون مع الريح الى حيث لا أنا ولا هم يدرون اين المصير ! كثيرون من هم أمثال (مي) يكتبون ويخطبون ويحاضرون، يعرفون كل شيء معرفة ثقافية إلا أنهم كلهم حيارى كالانسة (مي) التي وقفت بعد ان مشت كالمنبتّ لا حصنا منع ولا أرضاً قطع !

إني وإن كنت اقصيت سلامه موسى عن حظيرة الادب ، إلا أنني اعترف انه واحد من الكتاب القليلين الذين جعلوا مصر وأغراضها الاجتماعية والاقتصادية هيكلا قدسياً وكعبة مطهرة يلزمون الناس الايمان بها والحج اليها .

ليس مفروضا على كل كاتب ان يكون أديباً. وليس من حقنا ان ننزع عن الاديب طويته الانسانية لنقيده بقيود الطواريء ونطالبه بما هو مطالب به رجل السياسة مثلا ، لان الحالات السياسية والتقلبات الاجتماعية انما هي طواريء مفروض زوالها ، أما الحياة بمطلقها . والانسانية بكامل معانيها هما الاصل في وجود الاديب ، والمجالات الواسعة التي يروّح روحه الجوّاب فيهما ، ويطلق شعوره الواعي ليدرك هذه المعاني ، ويستوعب أسرار الجمال، ليعود فيسبغ على الناس من خير ما رأى ،وأطيب ما ذاق، من فيض بركات الحياة الانسانية

ليس لنا أن نطالب الكاتب الاجتماعي أمثال سلامه موسى

أن يكون أديباً، وليس في تنحيتنا اياه عن عرش الادب ما يضيره، لانه مقصوص الجناح في الاصل ، وليس لنا ان نرغم الاديب على أن يكون مصلحاً لانه فطر على التجوال في المحيط الواسع ، انما يجب علينا نحن النقاد ، أن نضبط شكائم الكتاب ، فنصد هذا اذا جنح ، ونرد ذاك إذا عرج ، ونهدي ذلك الى طريقه اذا ضل ، ويجب علينا أيضاً ان نحذر الناس من الكتاب الذين يتأرجحون بين الادب والاصلاح الاجتماعي ، ويتنقلون من جانب الى جانب ، ويتلفتون تلفت الخائف أو الضال ، ويسلكون مسالك الشريد ، واجبنا ان نحذر القراء من هؤلاء الذين ينقلون الينا أكثر التعاليم وأكثر النظريات الغربية وهم لا يراعون في نقلها ظروفنا الخاصة ولا يقدرون حالنا الخاص ، ولا يحفلون بتأثير الوراثة فينا ولا بالنكسات وما تسببه من مضار

نعم انه من أوجب واجبات الناقد ان يهلل للاديب ويكبر عمله الذي يشمل الحياة الانسانية ، ويصفق استحسانا للمصلح ويدعو الناس الى الاستماع الى رسالته ، وها نحن نصفق لسلامه موسى وقد تسعد الايام الآنسة (مي) فتجعلها تتجه اتجاهاً معلوماً في الحياة وقد يسعدنا البقاء ،فنصفق لها استحساناً متى أصبحت داعية الى الاصلاح الاجتماعي، أو نهلل لها ونكبر اذا لجت بحر الحياة وجاست حدائق الادب الصرف أما الآن فهي مابرحت تتأرجح بين رسالتي الاصلاح والادب .